أراد بقوله ابن يعفر : الأسود لأن الأسود اسم يعفر وأراد ببنت المحلق ليلى لأنها إحدى بنات المحلق يعين مظلمة تقول : ليلة ليلاء . قال في " المرآة " سبط الجوزي قال الغزالي : حدثني يوسف بن علي بأرض الهركار قال : دخلت معرة النعمان وقد وشى وزير محمود بن صالح صاحب حلب إليه بأن المعري زنديق لا يرى إفساد الصور ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل فأمر محمود بحمله إليه من المعرة وبعث خمسين فارساً ليحملوه فأنزلهم أبو العلاء دار الضيافة فدخل عليه عمه مسلم بن سليمان وقال : يا ابن أخي قد نزلت بنا هذه الحادثة الملك محمود يطلبك فإن منعناك عجزنا وإن أسلمناك كان عاراً علينا عند ذوي الذمام ويركب تنوخاً الذل والعار فقال له : هون عليك يا عم فلا بأس علينا فلي سلطان يذب عني ثم قام واغتسل وصلى إلى نصف الليل ثم قال لغلامه : انظر إلى المريخ أين هو فقال في منزلة كذا وكذا فقال : زنه واضرب تحته وتداً وشد في رجلي خيطاً واربطه إلى الوتد ففعل غلامه ذلك فسمعناه يقول : يا قديم الأزل يا علة العلل يا صانع المخلوقات وموجد الموجدات أنا في عزك الذي لا يرام وكنفك الذي لا يضام الضيوف الضيوف الوزير الوزير ثم ذكر كلمات لا تفهم وإذا بهدة عظيمة فسئل عنها فقيل : وقعت الدار على الضيوف الذين كانوا بها فقتلت الخمسين . وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر : لا تزعجوا الشيخ فقد وقع الحمام على الوزير قال يوسف ابن علي : فلما شاهدت ذلك دخلت على المعري فقال : من أين أنت ؟ فقلت : من أرض الهركار فقال : زعموا أني زنديق ثم قال : اكتب وأملى عليّ وذكر أبياتاً من قصيدة ذكرتها أنا وأولها : .

أستغفر ا في أمني وأوجالي ... من غفلتي وتوالي سوء أعمالي .

قالوا هرمت ولم تطرق تهامة في ... مشاة وفدٍ ولا ركبان أجمال .

فقلت إني ضريرٌ والذين لهم ... رأيٌ رأوا غير فرضٍ حج أمثالي .

ما حج جدي ولم يحجج أبي وأخي ... ولا ابن عمي ولم يعرف منىً خالي .

وحج عنهم قضاءً بعدما ارتحلوا ... قومٌ سيقضون عني بعد ترحالي .

فإن يفوزوا بغفرانٍ أفز معهم ... أو لا فإني بنارٍ مثلهم صال .

ولا أروم نعيماً لا يكون لهم ... فيه نصيبٌ وهم رهطي وأشكالي .

فهل أسر إذا حمت محاسبتي ... أم يقتضي الحكم تعتابي وتسآلي .

من لي برضوان أدعوه فيرحمني ... ولا أنادي مع الكفار أمثالي .

باتوا وحتفي أمانيهم مصورة ... وبت لم يخطروا مني على بال .

وفوقوا لي سهاماً من سهامهم ... فأصبحت وقعاً عني بأميال .

فما ظنونك إذ جندي ملائكةٌ ... وجندهم بين طوافٍ وبقال .

لقيتهم بعصا موسى التي منعت ... فرعون ملكاً ونجت آل إسرال .

أقيم خمسي وصوم الدهر آلفه ... وأدمن الذكر أبكاراً بآصال .

عيدين أفطر في عامي إذا حضرا ... عيد الأضاحي يقفو عيد شوال .

إذا تنافست الجهال في حللٍ ... رأيتني من خسيس القطن سربالي .

لا آكل الحيوان الدهر مأثرةً ... أخاف من سوء أعمالي وآمالي .

وأعبد ا لا أرجو مثوبته ... لكن تعبد إكرامٍ وإجلال .

أصون ديني عن جعلٍ أؤمله ... إذا تعبد أقوامٌ بأجعال .

ومن شعره : .

رددت إلى مليك الخلق أمري ... فلم أسأل متى يقع الكسوف .

وكم سلم الجهول من المنايا ... وعوجل بالحمام الفيلسوف .

أخذه من قول المتنبي وهو أحسن : .

يموت راعي الضأن في جهله ... ميتة جالينوس في طبه .

وربما زاد على عمره ... وزاد في الأمن على سربه .

وقال المعري : .

إذا ما ذكرنا آدماً وفعاله ... وتزويجه لابنيه بنتيه في الخنا .

علمنا بأن الخلق من نسل فاجرٍ ... وأن جميع الخلق من عنصر الزنا .

فأجابه القاضي أبو محمد الحسن بن أبي عقامة من اليمن : .

لعمرك أما فيك فالقول صادقٌ ... وتكذب في الباقين من شط أو دنا